

رئيس معهد آسبن وولتر آيزاكسون: يجب مساعدة المعتدلين الفلسطينيين

مقالة رأي بقلم وولتر آيزاكسون حول عملية السلام في الشرق الأوسط

عطلت الهجمات بالصواريخ التي أطلقها مقاتلو حماس في غزة، مع العمليات الانتقامية التي قامت بها إسرائيل، محادثات السلام بين رئيس وزراء إسرائيل إيهود أولمرت ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس. وهذا انتصار عظيم للمتطرفين في حماس، الذين لم يكونوا راغبين في مثل هذه المحادثات في أي يوم من الأيام. وتحاول وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، أثناء زيارتها إلى المنطقة الأسبوع المنصرم، تذكير الجميع بأن الهدف الحقيقي هو إضعاف حماس.

ويشكل تعزيز خصوم حماس، وهم أساسا الفلسطينيون المعتدلون، أحد السبل لتحقيق ذلك. ومن حسن الحظ أن لدى القوى المعتدلة زعيماً ذكياً مخلصاً ومستقيماً: سلام فياض، الاقتصادي الحيادي سياسياً (حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة تكساس) الذي يشغل منصب رئيس وزراء السلطة الفلسطينية. وقد عينه عباس في ذلك المنصب ليحل محل الوزارة التي رأسها حماس عقب استيلاء حماس على السلطة في غزة في حزيران/يونيو الماضي. ولدينا الآن فرصة مثالية، لعلها لن تبقى متوفرة لأكثر من عام ما لم يتم تعزيزها بنشاط، للإثبات للفلسطينيين أن دعم معتدلين مثل فياض، لا المتطرفين في حماس، يمكن أن يؤدي ثماراً من الازدهار والسلام.

ويمكن مساعدة فياض بسهولة: فما يتطلبه الأمر هو استحداث مشاريع أعمال وفرص تعليمية في الضفة الغربية، حيث تحقق استقرار وتعاون أمني متزايد مع إسرائيل منذ تولي فياض زمام الأمور. ويتم حالياً بذل مثل هذه الجهود. وما فتئ توني بليير، بصفته مبعوثاً خاصاً للرباعية، يعمل على تجنيد الدول المانحة لضمان استمرار السلطة الفلسطينية في تأدية وظائفها واستحداث مناطق صناعية في الضفة الغربية يمكن فيها لمؤسسات الأعمال الأجنبية مباشرة العمل بأمان. كما أنشأت وزارة الخارجية الأميركية شراكة أميركية-فلسطينية، رأسها شخصياً، بهدف تنسيق جهود القطاعين الحكومي والخاص في مجالات توفير فرص العمل ومراكز تدريب الشباب والاستثمار في المشاريع التجارية.

وتقوم بتشبيد مراكز الشباب الوكالة الأميركية للتنمية الدولية في حين ستديرها وزيرة الشباب المثيرة للإعجاب في حكومة فياض، تهاني أبو دقة. وقد أخذت بعض أعضاء شراكتنا في الشهر الماضي إلى الخليل لتفقد موقع أحد هذه المراكز، وتحدث الشباب هناك عن تلهفهم إلى الحصول على التدريب في مجال التكنولوجيا والتمكن من الوصول إلى الإنترنت. وتقوم جين كيس، وهي مسؤولة تنفيذية سابقة في أميركا أون لاين تشارك في رئاسة الشراكة، بتجنيد الشركات الأميركية والمجموعات التي لا تبغي الربح لتجهيز تلك المراكز ومدتها بالموظفين اللازمين.

وقد أطلق معهد آسبن في الصيف الماضي، بالتعاون مع هيئة الاستثمارات الخاصة في الخارج، وهي وكالة حكومية مستقلة، مبادرة استثمار في الشرق الأوسط تساعد في تقديم قروض يصل الواحد منها إلى 500 ألف دولار إلى مؤسسات الأعمال في الضفة الغربية. وتعمل الهيئة المخولة سلطة ضمان قروض بمبلغ 228 مليون دولار، مع المصارف المحلية لمساعدة ما يزال، رغم كل ما حدث، قطاعاً خاصاً قادراً على التكيف ومقاومة الصدمات يديره فلسطينيون من أصحاب المشاريع التجارية، يشكلون أقوى المجموعات المؤيدة للسلام والاستقرار وتطبيع العلاقات مع إسرائيل.

وقد أشار الرئيس بوش، لدى اجتماعه مع الشراكة الأميركية-الفلسطينية، إلى أن الرئيس السابق بيل كلنتون اتصل به ليحثه على إنشاء برنامج مواز متمم لمساعدة مؤسسات الأعمال في الأراضي الفلسطينية: تأمين ضد الأخطار يقي أصحاب المشاريع من التعطل الناجم عن اضطرابات سياسية. وتعمل هيئة الاستثمارات الخاصة في الخارج حالياً مع مبادرة كلينتون العالمية لإنشاء مثل هذا المرفق. كما يتم التخطيط لبرنامج ضمانات للرهن العقاري، من شأنه الحفز على تشييد المنازل، وصندوق رأس مال مغامر إسرائيلي-فلسطيني يمكنه الاستثمار في شركات التكنولوجيا.

وقد أعلن رئيس الوزراء فياض، بهدف اجتذاب الاستثمارات الأجنبية، عن مؤتمر لتنمية قطاع الأعمال والاستثمار سيعقد في بيت لحم في الفترة الممتدة من 21-23 أيار/مايو القادم. وهو يأمل أن يقوم كبار رجال الأعمال الأميركيين والأوروبيين والعرب والإسرائيليين بدراسة الفرص المتوفرة لإنشاء مرافق في الضفة الغربية أو للمشاركة في مشاريع تجارية مغامرة مع صناعات فلسطينية، مثل معامل صنع المستحضرات الصيدلانية والأدوية ومقالع الحجارة، المزدهرة في رام الله والخليل. وسيدهش مجرد التواجد في فندق الإنترنتنتنتال في بيت لحم، على مسافة قصيرة من كنيسة المهدي، الكثير من كبار رجال الأعمال الدوليين، الذين ربما كانوا يتصورون الضفة الغربية كأرض تزخر برمي الحجارة لا بالفرص التجارية.

ويعتقد رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزير الدفاع إيهود باراك بقوة بأن التنمية الاقتصادية في الضفة الغربية أمر في صالح إسرائيل. ذلك أنها ستعزز الاستقرار وتوجد مجموعات سكانية تعارض القتال وتثبت أن تأييد زعماء مثل فياض وعباس يعود بفائدة أكبر من اتباع طريق حماس والتطرف. وسيتعين على أولمرت وباراك وزملائهما الإسرائيليين المجازفة لإنجاح ذلك. فمؤتمر المشاريع التجارية، والاستثمار الاقتصادي بشكل عام، لن ينجح إلا إذا كان بإمكان السلع والناس التنقل بحرية. وسيستلزم ذلك إزالة بعض نقاط التفتيش في المناطق التي شهدت تعاوناً أمنياً وتنظيم بعض المعابر الحدودية وجعل الإجراءات فيها أكثر بساطة وفعالية.

ومن الممكن أن يوجد ذلك حلقة طيبة. فالتحرك والوصول بحرية أكبر يمكن أن يؤدي إلى مزيد من الاستثمار والفرص الاقتصادية، مما سيساعد في دعم قوى الاعتدال والسلام المسيطرة الآن في الضفة الغربية. وسيكون ذلك نقيضاً واضحاً ومتفقاً مقارنةً بالحلقة المفرغة الدائرة في غزة.

ملحوظة: وولتر آيزاكسون هو الرئيس التنفيذي لمعهد آسبن ويرأس الشراكة الأميركية-الفلسطينية. وقد نشرت مقالة الرأي هذه لأول مرة في صحيفة الواشنطن بوست في 5 آذار/مارس.